نستخدم مساعدتنا من أجل دفع سياستنا الى امام، وكذلك دفع قضية السلام والاستقرار في العالم، ولا يجب أن نفتح أيدينا لكل بلد يطلبها ويحتاجها» (ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

ومن الوسائل التي دعا الى توظيفها في الحرب العالمية الثالثة، في تلك الدول المرشحة لوجود حركات تحرر فيها، الدعوة الى تطبيق حقوق الانسان، اذ «أن مجال الحقوق الانسانية مجال، اذا ما استخدمت فيه القوة على نحو سليم، ستكون شديدة الفعالية، ويجب أن تستخدم بشكل مختار، مع الحرص على التمييز بين الفوارق القائمة في العالم الحقيقي» (ص ٣٨٧). ودعا الى وضع «مقاييس عليا لسلوك أصدقائنا، أكثر ممّا نفعله بالنسبة الى اعدائنا. وهنا، لا يسعني الّا القول انه ينبغي علينا ألّا نلحّ على فرض الديمقراطية على الطراز الأميركي على البلدان ذات الخلفيات المختلفة عن خلفيتنا... علينا أن نتركهم يتحركون بطريقتهم الخاصة، وبالخطى التي يريدون نحو الأهداف التي استغرقنا، نحن في الغرب، مئات السنين لتحقيقها... [و] ان ممارستنا لمزيد من الضغط على أنظمة الحكم الصديقة، التي توفّر بعض الحقوق ولا تهدّد جيرانها، أكثر ممّا نمارسه على أنظمة الحكم العدائية التي لا توفّر أية حقوق وتشكل في المقابل تهديداً لجيرانها، ليست مراءاة فقط، وانما ضرب من الحماقة نرتكبه... ولست أطالب، هنا، بأن نتخلى عن التزامنا بالحقوق الانسانية في علاقاتنا مع أصدقائنا؛ ولكي يكون موقفاً فعّالاً، فاننا بحاجة الى تبني سياسة واقعية... ان من واجبنا، على المدى البعيد، أن نرفع عالياً راية الثورة الأميركية كمقياس أعلى يتطلع اليه الانسان؛ امّا على المدى القصير... لا بد لنا من أن نعي ونعترف بأنه، بالنسبة الى الجزء الأكبر من العالم، ما زال تحقيق ذلك حلماً بعيد المنال... [و] فكرة الحرية أقوى سلاح في ايدي الغرب... ويا للمأساة اذا ما أسأنا استخدامه بطريقة خبط عشواء، نضرب به أصدقاءنا وأعداءنا على حد سواء، فنلحق الأذى بأنفسنا في نهاية الأمر. ان منبر الواعظ موقع للقيادة الاخلاقية، وليس للأمبريالية الأخلاقية» (ص ٣٩٤ ـ ٣٩٧). واستعرض، على سبيل المثال، تجربة ايران كمثال لسوء استخدام الحقوق الانسانية من قبل الولايات المتحدة الأميركية (ص ٣٨٨ ـ ٣٩١)، واستنتج: «لقد خسرت الولايات المتحدة والغرب معها صديقاً وفيّاً في منطقة متفجّرة من العالم، حيث نحن فيها بأمسّ الحاجة لأصدقاء يقومون بدور القوة التي تحافظ على الاستقرار... ان هذا التطور المأساوي ينطوي على دروس يجب تعلّمها من أجل المستقبل... [و] خيارنا ليس بين الرجل الذي يتربع على عرش السلطة، والذي هو صديقنا، وبين انسان آخر، بل بينه وبين انسان أكثر منه سوءاً بكثير» (ص ٣٩٣).

أمّا الوسيلة الثالثة التي طرح الرئيس نيكسون استخدامها في مثل هذه الحرب، فهو مستخلص كدرس من التجربة الأميركية في فيتنام، وهو ما عرف، فيما بعد، باسم «مبدأ نيكسون». فبعد أن استعرض التوّرط الأميركي العسكري في فيتنام، رأى أنها كانت «بمثابة محنة قاسية للأميركيين، ومحنة مؤلمة، الى حد الوحشية، للفيتناميين، وفرصة يمكن استغلالها بالنسبة للسوفيات؛ واضافة لذلك، فقد كانت تلك الحرب احدى المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثالثة» (ص ١٣٣)؛ وقد ولدت تلك الحرب، في الولايات المتحدة، حسب وصف الكاتب، «موجة مسعورة مناوئة للتعقّل كانت اجتاحت جامعات البلاد آنئذٍ؛ كما أن التحرر قد ساد على السمو، ودرجت ظاهرة التهجّم على كل ما يمثّل النظام القائم؛ وهكذا، فقد كان لفوضى ذلك العقد الزمني وعواقبه أثرها البالغ في اضعاف مقدرة الأمة على تحمّل مسؤولياتها في العالم، ليس من الناحية العسكرية فحسب، بل في مجال قدرتها على القيادة أيضاً» (ص ٦). ولم يدعُ نيكسون الى تجنّب الوقوع «في مشاكل أخرى، كمشكلة فيتنام، في المستقبل، وذلك بعدم تورطنا بالتدخل عندما تهدد البلدان الصغيرة، حتى لو كانت بلداناً صديقة او حليفة، بخطر العدوان الشيوعي» (ص ١٧٠) حسبما يريد البعض في الولايات المتحدة، بل دعا الى نفض غبار الدرس الخاطىء في فيتنام، وعلى الولايات المتحدة أن «تنساه... [و] الدرس الحقيقي لقضية فيتنام... لا يعني وجوب تخلّينا عن القوة، بل ان نتعلّم استخدامها بشكل فعّال للدفاع عن مصالحنا» (ص ١٧١). والدرس الذي استخلصه نيكسون، أوضحه بالمبدأ الذي حمل اسمه، ويقضي بأن «البلدان المهدّدة بخطر الاعتداء الشيوعي، يجب أن تتحمّل المسؤولية الأولى في الدفاع عن نفسها؛ ولا يعني ذلك أنه ليس ثمة دور لقوات الولايات المتحدة العسكرية، بل ما يعنيه هو أن الدول المهدّدة يجب أن تكون راغبة في تحمّل العبء الرئيس بتقديم الكوادر البشرية»